يدع اليتيم ولا يحض لايه وترك تعظم الحا في قوله فويل للايات وترك انتفاع
الخلق في قوله ويمنعون الماعون فلما شرفه في هذه السورة لهذه الوجوه العظيمة
قال انا اعطيناك الكوثر اي هذه الفضايل المتكاثرة المذكورة في هذه السور
الباقي كل واحدة منها اعظم من ملك الدنيا بحذافيرها فاشتغل انت بعبادة ربك
اما بالنفس وهو قوله فصل لربك واما بالمال وهو قوله وانحر واما بارشاد
العباد الى الاصلح لهم وهو قوله قل يا ايها الكافرون الايات فثبت ان هذه
السورة كالتتمة لما قبلها واما كونها كالاصل لما بعدها فانه تعالى يامره
بعد هذه بان يكفر جميع اهل الدنيا بقوله قل يا ايها الكافرون الى اخر السور
ويبطل اديانهم وذلك يقتضي مصيرهم باسرهم اعداله لان الطعن على الانسان
في دينه اشد عليه من الطعن في نفسه وزوجه وولده وذلك مما يجد عنه كل احد
من الخلق فان موسى وهرون ارسلا الى فرعون واحد وقالا انا نخاف ان يفرط
علينا او محمد صلى الله عليه وسلم ارسل الى الخلق كافة فكان كل واحد من الخلق كفرعون
بالنسبة اليه فدبر تعالى في ازالة هذا الخوف الشديد تدبيرا لطيفا بان قدم
هذه السور واخبر باعطايه الخير الكثير ومن جملة ذلك النصر والحفظ والعصمة
فلا يصلون اليه بسوء ومن جملته ايضا الرياسة ومفاتيح الدنيا فلا يلتفت
الى ما بايديهم من زهرة الدنيا وذلك ادعى الى مجاهدتهم بالعداوة والصدع
بالحق لعدم تطلعه الى ما في ايديهم ثم ذكر بعد سورة الكافرون سورة النصر
فكانه تعالى وعدنك يا محمد الكثير واتمام امرك وامرتك بابطال اديانهم
والبراءة من معبوديهم فلما امتثلت امري اخرجت لك الوعد بالفتح والنصر وكثرة
الاتباع يدخلون الناس في الدين افواجا ثم لما تم الدعوة واظهارا الشريعة
شرع في بيان ما يتعلق باحوال القلب والباطن وذلك ان الطالب اما ان يكون

طلبه

طلبه مقصورا على الدنيا فليس له الا الذل والخسار والهوان والمصير الى النار
وهو المراد من سورة تبت واما طالب الاخرة فاعظم اجزائه ان يبصر نفسه
كالمرآة التي ينتقش فيها صور الموجودات وقد ثبت ان طريق الخلق في معرفة
الصانع على وجهين منهم من قال اعرف الصانع ثم اتوسل بمعرفته الى معرفة
مخلوقاته وهذا هو الطريق الاشرف ومنهم من عكس وهو طريق الجمهور ثم انه
سبحانه ختم كتابه المكرم بتلك الطريقة التي هي اشرف فبدا بذكر صفات الله
وشرح جلاله في سورة الاخلاص ثم اتبع بذكر مراتب مخلوقاته في سورة
الفلق ثم ختم بذكر مراتب النفوس الانسانية وعند ذلك ختم الكتاب فسبحان
من ارشد العقول الى معرفة هذه الاسرار الشريفة المودعة في كتابه المكرم
هذا كله كلام الامام ثم قال في سورة الفلق سمعت بعض العارفين يقول
لما شرح سبحانه اسرار الالهية في سورة الاخلاص ذكرها تين السورتين
عقيبها في شرح مراتب مخلوقات الله وذلك ان عالم الممكنات على قسمين عالم الامر
وعالم الخلق على ما قال الاله الخلق والامر فعالم الامر كله خيرات محضة
بريئة عن الشرور والافات واما عالم الخلق فهو الاجسام والجسمانيات
فلا جرم قال في المطلع قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق ثم الاجسام اما ان تكون
كلها خيرات محضة او انها برية عن الاحلاك والفطور على ما قال ما ترى
في خلق الرحمن من تفاوت الاية واما عنصرية وهي اما جمادات وهي خالية عن
جميع القوى النفسانية فالظلمة فيها خالصة والانوار عنها زايلة وهي المراد
من قوله ومن شر غاسق اذا وقب واما نبات والقوة النامية له هي التي تزيد
في الطول والعرض والعمق مع فقد القوة النباتية كالها تنفت في العقد
واما حيوان وهو محل القوى التي تمنع الروح الانسانية عن الانصباب

Copyright © King Saud University